



السؤال: لعله بلغكم وجود عدد من **الجواسيس (العواينية)** داخل الشعب السوري الثائر، الذين يرصدون حركة المتظاهرين، ويقومون بدلالة شبيحة النظام الظالم على: من يقوم بإيواء عناصر الجيش المنشق، أو من يقوم بمعالجة الجرحى المصابين، أو من ينقل المساعدات إلى المحتجين. مما يتربّى على سعيهم الفاسد ضرر كبير باعتقال الأشخاص وتعذيبهم، بل ربما أفضى ببعضهم إلى الموت.

والسؤال: ماذا يحق لنا أن نفعل تجاه هؤلاء؟ هل يجوز قتلهم؟ وإنما لم تقدر عليهم فهل يجوز أن ننال أبناءهم وزوجاتهم بالآذى؛ ردعًا لهم وكفًا لأذائهم؟

الجواب: الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

أولاً: المخبر والعوايني والجاسوس، كلها ألفاظ تدل على معنى واحد، وهو: الشخص الذي يتتبع أخبار الناس وأسرارهم، وينقلها لأعدائهم.

ثانياً: حكم الجاسوس المسلم الذي يتتجسس على دولة إسلامية لصالح أعدائها دائرة بين: القتل كما هو مذهب المالكية، أو التعزير كما هو مذهب جمهور العلماء.

وسبب اختلافهم في ذلك: حديث حاطب بن أبي بلقة عندما راسل كفار قريش مخبراً لهم بقدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - لغزوهم. فمن يرى أن حكمه التعزير يستدل بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقتل، ومن يرى قتيلاً يستدل بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرَّ عمر على إرادة قتله، ولكنه علل المنع بأنه من أهل بدر، ولو لا ذلك لكان حكمه القتل. قال ابن القيم: "والصحيح: أن قتله راجع إلى رأي الإمام، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاءه أصلح استبقاءه". زاد المعاد.

ثالثاً: الناظر في حال هؤلاء المخبرين الموجودين اليوم في سوريا يرى فرقاً بينهم وبين الجاسوس الذي ذكره الفقهاء (الذي يقوم بالتجسس على دولة لصالح دولة أخرى).

ف الواقع الحال في سوريا اليوم:

1- أن التجسس قائم من بعض أفراد الشعب على بعض لصالح نظام الحكم.

2- أنَّ التجسس والأثر المترتب عليه ليس على درجة واحدة: فمن الجواسيس من يقتصر عمله على نقل أخبار المظاهرات أو المشاركيـن فيها، ومنهم الذي يخبر عن أماكن المطلوبـين، ومنهم من يترتب على تجسسه قتل نفس أو انتهاك عرض.

3- ليس ثمة إمام أو أمير يُفْوِضُ إليه تقرير حكم الجاسوس وتنفيذ الحكم فيه.

4- معرفة أمر هؤلاء الجواسيس قائمة في بعض الحالات على الخبر المؤكـد والموثوق، وهو في حالات أخرى قائـم على مجرد الظنـ، مما يؤدي إلى اتهام الأبرياءـ. ولو فتح الباب لتصديق كل اتهام لترتـب على ذلك فساد عريـضـ، وفي المقابل لو ترك هؤلاء دون حسابـ أو عقابـ فإن ضررـهم سيزدادـ؛ إذ لو لـاهـمـ لما أمكن الوصولـ إلى كثيرـ من الناشطـينـ والمتظاهـرينـ، بل هـمـ وراء الدمـاءـ التي تـُراقـ، والنسـاءـ التي تـُغتصـبـ، والأطـفالـ التي تـُيـتمـ، والنسـاءـ التي تـُرـملـ.

رابعاً: وأقرب الحلولـ لهذه المسـألـةـ كما نـرىـ: تـشكـيلـ هـيـةـ من عـقـلـاءـ الثـوارـ والنـاشـطـينـ فيـ كـلـ بلدـةـ تـنـظـرـ فيـ حـالـ كـلـ شخصـ منـ هـؤـلـاءـ، وـأـدـلـةـ إـثـبـاتـ كـوـنـهـ مـنـ الـمـخـبـرـينـ، وـمـقـدـارـ الـضـرـرـ الـذـيـ تـرـتـبـ عـلـىـ عـمـلـهـ، وـالـحـكـمـ الـذـيـ يـسـتـحـقـهـ. فـمـنـ لـمـ يـتـرـتـبـ عـلـىـ عـمـلـهـ ضـرـرـ كـبـيرـ فـلـاـ يـجـوزـ قـتـلـهـ، بلـ يـزـجـرـ بـمـاـ أـمـكـنـ مـنـ أـسـالـيـبـ الـزـجـ: التـهـيـيدـ، وـالتـوـبـيـخـ، وـالتـشـهـيرـ، وـالـإـيـذـاءـ الـمـعـنـويـ أوـ الـمـادـيـ. وـأـمـاـ مـنـ عـمـ ضـرـرـ وـاشـتـدـ آـذـاهـ، حـتـىـ وـصـلـ إـلـىـ الـأـنـفـسـ وـالـأـعـرـاضـ، فـفـيـ هـذـهـ الـحـالـ يـحـالـ أـمـرـ إـلـىـ "ـالـجـيـشـ الـحـرـ"، لـيـقـومـ بـكـفـ آـذـاهـ عـنـ الـمـسـلـمـينـ بـمـاـ يـرـاهـ مـنـاسـبـاـ، وـلـوـ وـصـلـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـقـتـلـ.

قال الإمام شمس الدين الذهبيـ: "إـذـاـ تـرـتـبـ عـلـىـ جـسـهـ وـهـنـ عـلـىـ الـإـسـلـامـ وـأـهـلـهـ، وـقـتـلـ، أـوـ سـيـ، أـوـ نـهـبـ، أـوـ شـيءـ مـنـ ذـلـكـ، فـهـذـاـ مـنـ سـعـيـ فـيـ الـأـرـضـ فـسـادـاـ وـأـهـلـكـ الـحـرـثـ وـالـنـسـلـ، فـيـتـعـيـنـ قـتـلـهـ، وـحـقـ عـلـيـهـ الـعـذـابـ، فـنـسـأـلـ اللـهـ الـعـفـوـ وـالـعـافـيـةـ".

الـكـبـائـرـ.

ولا بدـ منـ التـأـكـيدـ: إـلـىـ أـنـهـ لـاـ يـكـنـىـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـورـ بـمـجـرـ الـظـنـ وـالـتـهـمـ وـالـإـشـاعـاتـ، بلـ لـاـ بـدـ مـنـ قـيـامـ الدـلـيـلـ الشـرـعيـ

الـمـعـتـبـرـ عـلـىـ إـدـانـةـ الـمـخـبـرـ أـوـ الـعـوـابـيـ.

خامساً: أـمـاـ الـاعـتـداءـ عـلـىـ أـقـارـبـ الـجـوـاسـيسـ بـالـقـتـلـ أـوـ الـاعـتـداءـ أـوـ الـإـيـذـاءـ أـوـ الـاـخـتـطـافـ فـلـاـ يـجـوزـ بـتـاتـاـ؛ لأنـ القـرـيبـ لـاـ يـؤـخذـ بـجـرـيـرـةـ قـرـيبـهـ، وـحـرـمـةـ دـمـ وـمـالـ بـقـيـةـ أـفـرـادـ الـشـعـبـ، وـقـدـ تـكـاثـرـ النـصـوصـ الـشـرـعـيـةـ فـيـ الـزـجـ وـالـنـهـيـ عـنـ أـخـذـ الـإـنـسـانـ بـجـرـيـرـةـ غـيـرـهـ، كـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: (ـوـمـنـ يـكـسـبـ إـثـمـاـ فـيـنـمـاـ يـكـسـبـهـ عـلـىـ نـفـسـهــ)، وـقـالـ: (ـوـلـاـ تـكـسـبـ كـلـ نـفـسـ إـلـاـ عـلـيـهـاـ، وـلـاـ تـرـرـ وـأـرـرـةـ وـزـرـ أـخـرـيـ).

نـسـأـلـ اللـهـ -ـجـلـ وـعـلـاـ. أـنـ يـكـفـ شـرـ هـؤـلـاءـ الـجـوـاسـيسـ، وـأـنـ يـفـضـحـ سـرـهـمـ، وـيـشـغـلـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ، وـيـعـاجـلـ بـعـقـوبـتـهـمـ فـيـ الـدـنـيـاـ قـبـلـ الـآـخـرـةـ، وـأـنـ يـلـبـسـ إـخـوـانـاـ الـثـائـرـينـ وـأـفـرـادـ الـجـيـشـ الـحـرـ لـبـاسـ الـسـتـرـ وـالـتـقـوـيـ، وـأـنـ يـرـزـقـهـمـ السـدـادـ فـيـ الـقـوـلـ وـالـعـمـلـ، وـصـلـيـ اللـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـيـنـ.

المـصـادـرـ: